بين الشهرة والخـــلود

لأميـــل لدفيج

تلخيص محمد أمين حسونة

خطر ببالى ذات شتاء أن أمضى شطراً طويلاً منه فى منطقة الألب لأستمتع بدفء الجبال ، فكان مما استرعى اهتمامى فى منطقة التيرول ، تلك الكنيسة الفخمة التى اشتهرت منذ القرون الوسطى بأثرية ناقوسها وروعته ، فلما مر بخاطرى زيارته ، صعدت الى القبة لأشبع العين من فتنته ، وهناك تملكتنى الدهشة والعجب ، إذ كانوا يعلقون صورة « شيللر » إلى جانب صور القديسين الأبرار ، كتذكار لمقطوعته الخالدة « نشيد الناقوس » !

فشيللر الكاتب الملحد ، عدو الكنيسة والكثلكة ، يجعلون منه رمزاً للقداسة والخلود ؟ ولكن لا عجب فقد تكون شهرته كشاعر مخلد لذكرى « الناقوس » هى التى حدت بهم الى رفعه فى مثل هذا الموضع الذى يرتكز عليه ، وهكذا تكون الشهرة حامية للأغلاط . إننا نذكر جميعاً غلطة « كوك » المعروفة ، وكيف دفعته الى مصاف العظماء ، وقذفت باسمه الى أول قائمة المكتشفين الخالدين ، ولو أن لعبته لم تكتشف إلا بعد مرور فترة طويلة !

إذن فالشهرة ليست بمعناها المعروف ، هى « العظمة » ، وقد لا تهدينا شهرة الرجل الى تقدير مناحى عظمته فى ثوبها الحقيق ، وإلا كان من حقنا أن نفاخر « بشارلى شابلن » عن « برجسون » وأن نفضل « مستنجيت » على « مدام كورى » . مع أننا كمؤرخين فى عنقنا دين تجب تأديته للأجيال المقبلة ، ذلك هو تصحيح الأخطاء التى تلابس أولئك الذين يستحوذون على الشهرة عن طريق المخادعة .

وقد يما ذكروا : ألا يجوز البتة إعلان كون الناس سعداء ماداموا أحياء[1] ! فاذا جاز لنا أن نحكم بأن حياة الانسان إن هى إلا رواية تمثل مشاهدها ، ففى مكنة « فصل خامس » منها أن يطفىء أنوار فصول أربعة تقدمته ، وفى ضوء هذه النظرية لا يمكننا الحكم على أعمال الرجال إلا بعد موتهم ، ولا أن نخلع عليهم ثوب العظمة وهم أحياء ، فمن المحتمل أن يأتى هذا الثوب فضفاضاً عليهم ، أو يحدث فى أواخر أيامهم ما يدفعهم الى تشويه هذه الصفحات التى تكون قد ملأناها حمداً وثناء عليهم !

إن سرعة انتشار الأخبار تمكننا من معرفة أى رجل اشتهر فى أقل من لمح البصر ، فاسم « لينـدبرج » — قاهر الجو — عرفه فى ليلة واحدة خمسمائة مليون شخص من أقاصى منشوريا الى جنوب استراليا ؛ كذلك كان أمر « كوك » حين انتحل لنفسه اكتشاف القطب الشمالى ، ولو أن خدعته اكتشفت فيما بعد ، ولكن بعد فوات الفرصة ، وبعد أن رسخ اسمه فى قلب كل انسان كمكتشف عظيم !

إن الآلة التى تخرج لنا العظماء اليوم غيرها قبل خمسين عاماً مضت ، فليس الرجل العسكرى هو الذى ينال إعجاب أبناء هذا الجيل ، وليس من حقنا تدوين اسمه فى ثبت العظماء ، كما فعل

(١) هذا الرأى مأخوذ عن أرسطو فى كتابه « الأخلاق »

مدينة الأحرار

للاستاذ محمد محمود جلال

الله اكبر « يا جنيفُ » فوق الجمال « دم خفيفُ »
طُهِّرت كالجنات من لغو ومن هم مطيفُ
وخلوت للأحرار إلا من نسيم أو حفيفُ
يلقى الربيعَ بك المُشَـرَّدُ بعد إعنات الخريفُ
كم صنتِ عزة أنفس ووقيتها ورد الحتوفُ
فوقفت سـدا مانعاً دون المواصف والصروفُ
فيـك التقيت بنخبة هم عـدة الشرق المنيفُ
وغنمت أمتع جلسـة فى «پارك[1] لجرنج» الرفيفُ
وإذا البحيرة ناظر إنسانه من (ليزوفيفُ)[2]
يذر الفـؤاد مرددا « الله أكبر يا جنيفُ »

(١) هو پارك لاجرنج La Grange من أوسع المتنزهات وفيه صاحبه والقصر القائم فى وسطه للبلدية ، وشرط ألا يدخله خمر ولا رقص — وتقوم بأدارته أرقى سيدات الأسر الكبيرة بجنيف — ويحظرون فيه إعطاء « بقشيش »

(٢) يهتم السويسريون ويعتزون ببحيرة ليمان . يحسنون استثمارها ملاحة وصيداً وشرباً ويدعون ماءها (Les eanx vives) ولهم ميدان لهذا الاسم فى المدينة .

الاسكندر وقيصر ونابليون ، كلا ! فالشعوب أصبحت لا تهافت على معرفة اسم القائد المنتظر فى الميدان ، لكنهم يتساءلون عن الآلة الجهنمية التى أحرزت التغلب ، وخفقت فوق ربوعها بنود النصر . وخذ اسم الماريشال هيندنبرج مثلا ، فلا يتطرق الى أذهاننا أن شهرة اسمه راجعة الى عظمته الحربية وحدها ، بل لذلك الاعتقاد السائد فى النفوس ، وهو اعتباره «أبا للشعب» . والاعجاب اليوم لا ينال الجيوش الظافرة فى ساحات الوغى ، أكثر مما ينال ذلك «الجندى المجهول» الجامع لرقات الانتصار والانكسار .

إن شهرة كبار القواد الذين خاضوا غمار الحرب العظمى ، وكان النصر حليفهم فى المعارك الكبرى ، قد تضاءلت حتى كادت تتلاشى ؛ كذلك مآل بلسودسكى ومصطفى كمال وموسوليني ، فسوف يصبح اسم كل منهم خرافة سائدة فى أفواه الأجيال المقبلة .

* * *

ومن يحرز الشهرة إذن ؟ إن رجال الألعاب الرياضية وأبطال الملاكمة ونجوم السينما هم وحدهم الذين يحرزون الشهرة دون غيرهم . أما الأولون فلأن الجماهير تساهم بقسط وافر فى الشهرة التى يحرزونها عن طريق المراهنة فى مبارياتهم ؛ وأما نجوم السينما فيستولون على الشهرة بفضل الملابس الزاهية وإتقانهم الأدوار التى تتطلب المثل العليا فى الحب والتضحية .

ولأنهم جميعاً يشغلون قلوب الجماهير ويستدرون عواطفهم فى كل مناسبة ، فملامحهم وصورهم وحياتهم الخاصة مطبوعة على صفحة كل قلب بفضل الصحافة المصورة التى تمهد لهم سبل الشهرة والدعاية فكاروزو مثلاً اشتهر أكثر من غيره من المغنين السالفين بفضل اختراع «الفونوغراف» الذى خلد صوته

إن مهمة المؤرخ دقيقة وعسيرة فى هذا العصر ، فيجب ألا يعتمد على الشهرة وحدها فى جعلها مقياساً للعظمة ، وإنى باعتبارى مؤرخاً لا يحق لى مطلقاً أن أخدع نفسى وقرائى بجعل الشهرة عظمة . إنى لا أجد اليوم موسيقياً بعد «موار» ، وأذكر «ليرمان» فى أول قائمة الفنانين العالميين ، وأسائل نفسى وقرائى عن «كاتب القرن الحالى» الذى يحق له إحراز هذا اللقب النبيل ، والذى له الفضل فى تربية ملكة الذوق لجيلنا الحاضر فلا أجد غير «برنارد شو» ، كما كان «فولتير» كاتب القرن الثامن عشر ، نعم إن هناك كتاباً يفوقون «شو» سواء فى قوة الابتكار أو سلاسة الأسلوب ومتانة التعبير ، وأذكر منهم : ابتان ، وهمسون ومان ، ودانزيو ، وبير اندللو ، ورولان ، وڤلريس ، ولكن «شو» قد أثر بآرائه ومداعباته واستحواذه على لب القارىء أكثر من سواه .

* * *

وإذا خطر لنا أن نتكلم عن السياسة حق لنا أن نعترف بأن رجالها قد احتضروا واختفوا من الأفق سراعاً : ويلسن ، ولينين ، وكليمنصو . أما «لويد جورج» فشيخ رجال السياسة الحاليين وأكثرهم دهاء ، و «موسوليني» أخطرهم وأصغرهم سناً ، ولكن إذا تحدثنا عنه كسياسى ، أيحق لنا أن نعته بالعظمة ؟ كلا ! فالحكم للمستقبل . وموسوليني يؤدى الآن دوره على خشبة المسرح ، وقد انصبت الأنوار فجأة عليه من كل جانب فأخفت «الرتوش والكياج» التى تخفى شخصيته الحقيقية ، وتظهره أمام الجماهير فى ثوبه الخيالى معبوداً للشعب ؛ انه لا يزال فى الفصل الثانى من الرواية التى تعهد القيام بدور البطل فيها ، وليس لأحد أن يتكهن إذا كان الستار سيسدل عن تصفيق وإعجاب ، أو عن استهزاء وسخرية [1] !

* * *

وإذ ذكرت سياسيي الجيل الحاضر ، فانى أتحدث عن «فينزيلوس» اليونانى و «مازاريك» التشيكى : فالأول سياسى محنك ورجل داهية ، والثانى حلم بنى وطنه لعشرين عاماً خلت ، كما أن زعماء المضطهدين — لسان حال الشعوب المظلومة — قد أحرزوا الاعجاب بمبادئهم الاشتراكية السامية ، وضربوا أحسن الأمثال لأممهم فى التضحية ، وأخص بالذكر منهم : «مكسويني» محافظ كورك الذى ذهب ضحية إخلاصه لمبدئه ، و «غاندى» رجل الهند — بل الشرق — الوحيد .

* * *

أما رجال العلم والصناعة فقد كان الجيل الماضى حافلاً بالكثير من شخصياتهم البارزة . أما جيلنا الحاضر فمفتقر الى طائفة كبيرة

(١) لاميل لدفيج رسالة طويلة كتبها بعد هذا البحث عن «محادثاته مع موسوليني» ضمنها آراء أخرى يعارض فيها كتاب لويجى شتورزو عن «إيطاليا والفاشستية»

منهم ، فانه لا يوجد اليوم علماء للآثار القديمة جديرين باحراز هـــذا اللقب الذي استخلصه لنفسه شامليون ، ولامؤرخون يستطيعون إرواء ظمأ المتعطشين الى نظريات حديثة ، ولا علماء في الاقتصاد والتشريع والفلك كعلماء القرن الماضي من الانجليز أو الألمان .

إن عالمنا اليوم لاعمل له سوى الجمع بالنسبة للماضي ، والتمهيد بالنسبة للمستقبل ، ومع كل فهناك شخصيات برزت في بعض الصناعات التي كان العالم في أشد الافتقار اليها . فبركلند ، وآيد الرويجيان انتشلا شعوباً من المجاعات باقدامهما على استخراج النيتروجين من الهواء ؛ و «هابر ، وارنست ، واوستوالد» أول من أحدثوا نظريات جديدة بشأن السوائل ، كذلك «بور» الدانيمركي و «بلانك» الألماني ، والى جانبهما تأخذ «مدام كوري» مكانتها العلمية كامرأة واصلت البحث والدرس بعـــد موت بعلها بعشرين عاما .

أما علماء النفس فعلى رأسهم «فرويد» الذي أيقظت نظرياته الحديثة شعور ألوف المثقفين في العالم ؛ ويجيء دور «اينشتين» شيخ علماء الحكمة الطبيعية الذي زحزحت نظرياته الرياضية الكثير من الاعتقادات العلمية التي كانت سائدة في أذهان علماء الأجيال الغابرة .

وهناك «مركوني» الايطالي و «اركو» ، والى جانبهما «اخوان رايت» و «فورد» ، والى جانبهم أبطال الصناعة الذين لهم الفضل في ابتكار اللاسلكي وبناء الجسور وحفر الترع وتشييد المنشئات الهندسية الحديثة كمحطات الكهرباء والخزانات والمصارف وناطحات السحاب .

ولكن أين هم هؤلاء الأبطال ؟ من هم أساتذة الصناعة والفن اليوم ؟ من يعرف منشيء جسر اليشون أو أرث الخامس أو خزان أسوان ؟ من الصعب أن نعرف أسماء كل هؤلاء الأبطال ، لأن أعمال الشركات خيمت على جهود الأفراد ، وجهود الأبطال قد اندمجت في أعمال الشركات .

وعند ما تنحدر الشمس الى المغيب ويجد مكانها الأنوار الكهربائية الثلاثة ، لمن نتوجه بالحمد على كل هذا ؟ أن الفضل في سر الاتصال بين الأمم بأسلاك التلغراف وفي نقل الرسم والصوت من مكان قصي فوق ثلوج سيبريا الى عبيد الكونغو مثلاً ؟ إن أحداً لم يستطع تذليل العلم وتسخيره في أغراض المجتمع وإفادته كما استطاع ذلك خالد الذكر «أديسون» .

وهكذا نأتي في النهاية لنشيد بذكر أكبر عالم نظري الى أعظم مخترع عملي ، أولهما ألماني وهو عقل العالم الذي يمتاز بحقيقة الأشياء ، وثانيهما أمريكي وهو عين العالم التي ترى بها الضوء ، كلاهما نشأ فقيراً معدماً ، ليس مديناً لأحد إلا لعبقريته ونبوغه ، هما «اينانيس» الذي وهب الثقافة وحرية الفكر للعـــالم ، و «بروميستيس» الذي اختطف النور من الآلهة ليهديه الى البشرية هما :

انيشتين وأديسون .

محمد أمين حسونه

ابن سعود

سياسته ، حروبه ، مطامعه

بقلم

مصطفى الحفناوي

عن وليمز وآرمسترونج «بتصرف»

ثمنه ١٢ قرشاً ، ويطلب من المطبعة المصرية بالأزهر تليفون ٥١٧٠٤

ومن مكتبة الهلال بالفجالة ، والمكتبة التجارية بشارع محمد علي